مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

أ.د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

توحيد الرُّبوبيّة والخطأ فيه عند الأشاعرة والصُّوفيّة

حقيقتُه، وأسبابُه، وآثارُه

أ.د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

الأستاذ في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية الشّريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

ملخص البحث.

يتمحور هذا البحث على الكلام عن توحيد الرّبوبيّة، فيبدأ ببيان مفهومه الاصطلاحي؛ شارحًا أوجه الاختلاف والتّباين بين ما قد يقع فيه من الاشتراك بين الخالق والمخلوق من مثل المُلك والتّدبير، ومبيّنًا في الوقت ذاته أنّ توحيد الرُّبوبيّة بمفرده لا يُدخل في الإسلام ولا يكفي في الإنجاء الأخروي؛ بدليل أنّ إقرار المشركين الذين بُعِث فيهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكفِهم ولم يُنجِهم.

كما تطرّق البحث من جهة ثانية للكلام على ما وقعت فيه بعض الطّوائف من الخطأ والخلط في هذا النّوع من التّوحيد، ملتمِسًا السّبب وراء ذلك، وما تفرّع عنه وانبنى عليه من آراء، ثُمّ ما نتج عنه من آثار على المستويين: المفاهيمي والسُّلوكي، وموردًا كثيرًا من الشّواهد على ذلك.

الكلمات المفتاحية:

توحيد، الرُّبوبيّة، الأشاعرة، الصُّوفيّة، الإرجاء، الإله، الرَّب.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

توحيد الربوبية والخطأ فيه عند الأشاعرة والصّوفية؛ حقيقته وأسبابه وآثاره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق كلّ شيء فقدَّرَه تقديرًا، والصّلاة والسّلام على من بعثه الله هاديًا ونذيرًا؛ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا، أمّا بعد:

فلا ريب أنّ التّوحيد – بأنواعه – هو أساس الإسلام ومفتاح قبول الأعمال، ولهذا كانت العناية به؛ – فهمًا لحقيقته، وتحقيقًا لمسائله، وتمثُّلًا لمقاصده – من أهمّ ما ينبغي للموفّقين صرف الهمم إليه، واستغراق الأوقات فيه.

وعلى الرّغم من أنّ الإقرار بربوبيّة الله لهذا العالَم ومَن فيه – خَلْقًا ومُلكًا وتدبيرًا – لم يكن محلّ إنكار من المشركين، ولا موضع نزاع بين الرُّسُل وأقوامهم؛ إلّا أنّ ما يدعو للاستغراب أنّ ثَمّة لبسًا عظيمًا في فهم هذا التّوحيد ومعرفة منزلته من الدِّين، وخلطًا كبيرًا في إدراك طبيعة صلته بتوحيد الألوهيّة لدى كثير من المسلمين، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحدّ إذ ترتّبت عليه آثار خطيرة على الصّعيد السّلوكي (= التعبُّدي) وكذلك على المستوى المفاهيمي، ومن هنا أحببتُ أن أسهم في تناول هذا الموضوع بهذا البحث.

مشكلة البحث:

تدور مشكلة البحث حول النّقاط التالية:

١- ما حقيقة توحيد الرّبوبيّة عند أهل السنّة والجماعة.
٢- ما موقف الأشاعرة والصُّوفيّة من هذا التّوحيد؟ وما موضع الخلل عندهم فيه؟
٣- ما الأسباب التي أدّت بهم للوقوع في الخطأ؟
٤- ما الآثار التي نشأت عن هذا الخلل؟

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

.أهمية البحث:

تكمن أهمِيّة البحث فيما يلي:

١- تعلّقه بأحد أنواع التّوحيد الثّلاثة.
٢- بيان موقف الأشاعرة والصّوفية منه، وبيان الخلل الدّاخل عليهم فيه.
٣- شرح أسباب هذا الخلل لدى الأشاعرة والصّوفية.
٤- الكشف عن الآثار المترتّبة عن هذا الخلل.

منهجية البحث:

سلكتُ في هذا البحث المنهج التّحليلي النّقدي.

الدراسات السابقة:

بحسب اطّلاعي فقد أفردت عِدّة دراسات وبحوث في هذا الموضوع، وهي:

١- دلائل الرّبوبية، للدكتور أبو زيد مكّي، وقد تناول بالعرض أدلّة وجود الله تعالى، ثمّ تكلّم عن توحيد الرُّبوبيّة، ثمّ ناقش قضيّة الإلحاد.

٢- معنى الرُّبوبيّة وأدلّتها وأحكامها وإبطال الإلحاد فيها، للأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن أبوسيف الجهني، وقد استهلّ البحث بتعريف توحيد الرُّبوبيّة، ثُمّ تكلّم عن أدلّته وأحكامه وأبطل مذهب أهل الإلحاد فيه.

٣- اللّطائف النّديّة في بيان توحيد الرُّبوبيّة، للدّكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان، والبحث يركّز على تعريف التّوحيد عمومًا ثمّ توحيد الرُّبوبيّة خصوصًا، مع الكلام على من شذّ فأنكره وأنه لا يكفي في دخول الإسلام، ثمّ ختم بالكلام على ثمرات الإيمان بتوحيد الرُّبوبيّة.

٤- توحيد الرُّبوبيّة والألوهيّة: الفُرُوق بينهما والتّآليف فيهما، للدكتور محمد بن إبراهيم الحمد، وكما هو ظاهر من عنوانه فالكتاب يُعنى بالتّعريف بالتّوحيدَين وبيان الفَرق بينهما، وتعداد ما صُنّف فيهما.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ويمكن القول – بصورة جامعة – بأنّ محل الالتقاء ونقطة الاشتراك بين تلك الدّراسات وهذا البحث هو في الكلام عمومًا على تعريف توحيد الرُّبوبيّة، وأمّا بيان الخطأ فيه وذكر أسباب ذلك ثمّ شرح آثاره فهذا ممّا استقلّ به هذا البحث.

٥- منهج أهل السُّنّة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى، للدّكتور خالد بن عبد اللّطيف بن محمد نور، ويقع التّمايز بين الرِّسالة وهذا البحث في أمور، أهمّها ما يلي:

أ- أنّ المؤلِّف – حفظه الله – قصر كلامه على الأشاعرة الذين هم محلّ بحثه، أمّا مفهوم توحيد الرُّبوبيّة عند الصّوفيّة وبيان الخطأ فيه وشرح أسباب ذلك وآثاره، فلم يتطرّق إليه.

ب – أنّ جُلّ ما تناوله من المسائل في توحيد الرُّبوبيّة عند الأشاعرة خارجة عن موضوع هذا البحث، كقولهم بأنّ الأدلّة النقليّة لا يصلح الاحتجاجُ بها على وجود الله، ومسألة نفي الحكمة المقصودة في أفعال الله، ومسألة التّحسين والتّقبيح، ومسألة كسب العباد إلى غير ذلك.

ج – الاختلاف في طريقة المعالجة العلميّة لكثير ممّا وقع فيه التّوافق بين الرِّسالة وهذا البحث، كما في مسألة أوّل واجب على المكلّف حيث جعلها المؤلِّف من أسباب عدم وضوح قول الأشاعرة في توحيد الألوهيّة، بينهما الذي انتهى إليه البحث أنها متفرِّعة عن خطأهم في توحيد الرُّبوبيّة إلى غير ذلك من المسائل.

د – أنّ المؤلِّف – حفظه الله – لم يتطرّق لبيان أسباب الخطأ في توحيد الرُّبوبيّة وما ترتّب عليه من آثار.

خطّة البحث:

يتكوّن هذا البحث من مقدّمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأوّل: مفهوم توحيد الرُّبوبيّة.

المبحث الثّاني: الخطأ في توحيد الرُّبوبيّة، وأسبابه، وآثاره.

خاتمة: وتتضمّن أهمّ النتائج والتّوصيات.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وأسأل الله تعالى أن يُمدَّني بتأييده، وأن يمنّ عليّ بطاعته وتحقيق توحيده.

وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأوّل: مفهوم توحيد الرُّبوبيّة.

يحسن في البداية تعريف التّوحيد، فالتوحيد لغة مصدر وحَّدَ يوحِّد أي: جعله واحدًا(١).

ويراد بالتّوحيد شرعًا: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختصّ به من الأُلوهيّة والرُّبوبيّة والأسماء والصِّفات"(٢).

وأمّا الرُّبوبيّة في اللُّغة فهي مشتقّةٌ من اسم (الرَّبِّ)، والرّبُّ هو (المالكُ، والسّيِّد، والمدبِّر، والمربِّي، والقَيِّم، والمنعِم، والخالقُ، والصّاحب)، وكلُّ هذه المعاني راجعةٌ إلى أصلٍ واحد هو إصلاح الشّيء والقيامُ عليه(٣).

وأُطلِق على هذا النّوع اسمُ الرُّبوبيّة؛ لأنّ اسمَ "الرَّبّ يقتضي معانيَ كثيرة وهي المُلْك والحفظ والتّدبير والتّربية، وهي تبليغ الشّيء كمالَه بالتّدريج"(٤).

ويُقصَد بالرُّبُوبيّة شرعًا: "إفراد الله عزّ وجلّ بالخَلْق والمُلْك والتّدبير"(٥).

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (٤١٤)، تاج العروس للزَّبيدي (٢٦٦/٩).

(٢) القول المفيد على كتاب التّوحيد لابن عثيمين (١١/١). وانظر للاستزادة: الشِّرك في القديم والحديث لأبو بكر محمد زكريا (٢٠/١)، الألفاظ والمصطلحات المتعلّقة بتوحيد الرُّبوبيّة لآمال العمرو (١٤).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (٣٨١/٢)، لسان العرب لابن منظور (٣٩٩/١)، تاج العروس للزَّبيدي (٤٥٩/٢).

(٤) شرح الطّحاويّة لابن أبي العِزّ (١٤٢).

(٥) القول المفيد لابن عثيمين (١٢/١)، وشرح العقيدة الواسطيّة له أيضًا (٢١/١).

تتمّة: لعلّ هذا التّعريف لتوحيد الرُّبُوبيّة أولى من تعريف بعض العلماء له بأنه: "إفراد الله عزّ وجلّ بأفعاله"؛ لأنّ هذا التّعريف – وإن كان صحيحًا ودالًّا على المراد – إلّا أنه يشمل جميع أفعال الله سواءٌ كانت متعدِّية أم لازمة، غير أنّ المقصود أصالةً بالكلام في توحيد الرُّبوبيّة هو إفراد الله

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وهذا التّعريف يتكوّن من ثلاثة أجزاء:

الأوّل: الاعتقاد الجازم بأنّ الله منفرد بالخلق، لا خالقَ غيره ولا موجدَ سواه، كما قال سبحانه ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الزُّمر:٦٢]، وقال ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفُرقان:٢]، وقال ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر:٤٩]، وقال ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهذه الجملة تفيدُ الحصرَ لتقديم الخبر؛ لأنّ القاعدة أنّ تقديمَ ما حقُّهُ التّأخيرُ يفيد الحصر، وقال ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [فاطر: ٣] وهذا الاستفهام بمعنى النّفي، وقال﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة:٢١]، وقال ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [يونس:٣]، وقال ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الصّافّات:٩٦]، وقال ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾[الزُّمر:٦]، قال ﴿خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان:١١]، وقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ [النّحل:٢٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا.

ولا ينافي هذا التقريرَ ما وردَ من إثبات الخَلْقِ لغيرِ الله كما في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] وقولِه ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [الصّافّات:١٢٥]، وقولِه في الحديث القُدْسي في المصوّرين: "ومن أظلمُ ممّن ذهبَ يَخْلُق كخَلْقي؟!"[(١)]، وقولِه صلى الله عليه وسلم فيهم أيضًا: "إنّ أصحابَ هذه الصُّوَر يُعذَّبون يوم القيامة، ويقال لهم: أَحْيُوا ما خَلَقْتم"[(٢)]؛ وذلك لأنّ ما ذُكِر في هذه النُّصُوص لا يُقصد به الخلقُ الحقيقيُّ الذي هو إنشاء شيء من العدم المحض، بل هو تحويلٌ لِما هو موجود من هيئة إلى هيئة ثانية، فمَن نحت حجرًا على هيئة إنسان – مثلًا –لم يُنشئْ هذا الحَجَرَ على هذه الهيئة الجديدة ابتداءً وإنما حوّله بعمَلِه عليه من شكل لآخر، كما كان عيسى عليه السّلام يعمل بالطِّين، ولهذا وصف الله عمله بـ(الخَلْق) فقال ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ

بأفعاله المتعدّية كالخلق والرّزق والإحياء والإماتة وإنزال الغيث وتسيير الأفلاك بحيث لا يشاركه فيها غيره، أمّا الكلام على الأفعال بشّقيها المتعدّي واللّازم من حيث الاتّصاف بها من عدمه فمحلُّه توحيدُ الأسماء والصّفات.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٨٨٦)، ومسلم في صحيحه برقم (٢١٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِي﴾[المائدة:١١٠]، ومن السّائغ في اللُّغة – على سبيل التّجوُّز – أن يُطلَق على هذا العمل ونحوه ممّا تضمّن مهارةً في الصِّناعة خَلْقًا؛ والعرب تُسمِّي كلَّ من صنع شيئًا بإحكام خالقًا[(١)].

الثّاني: الاعتقاد الجازم بأنّ الله منفرد بالمُلْك التّام في الدّنيا والآخرة؛ نواصي الخلق بيده، ومقاليد الأمور بقبضته، لا يخرج أحد عن سُلطانه، ولا يقع شيء إلّا بإذنه، يفعل ما يشاء ويقضي ما يريد، لا رادّ لأمره ولا مُعَقِّب لحُكمه، كما قال سبحانه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[المائدة:١٧]، وقال ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[المؤمنون: ٨٨]، وقال ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[آل عمران:٢٦] ، وقال ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾[الأنبياء:٢٣]، وقال ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾[الإسراء:١١١]، وقال ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النّحل:٤٠]، وقال ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[فُصِّلَتْ:١١]، وقال ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾[سبأ:٢٢]، وقال ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾[فاطر:١٣]، وقال ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾[النّجم:٢٥ – ٢٦]، وقال ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾[هود:٥٦]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا مالكَ إلّا الله عزّ وجلّ"[(٢)].

فالمُلْك التامّ والدّائم والمطلق لله وحده، فهو لا يحتاج فيه إلى مُعين، ولا يَخاف عليه من زوال، أمّا مُلك غيره فهو مُلكٌ قاصر محدود، لا يكون إلّا بتمليك الله له – قدَرًا أو شرعًا وقدَرًا –، ومُعطي الشَّيء قادر أن يَسْلِبَه منه كما قال سبحانه ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ﴾[آل عمران:٢٦]، ولهذا قال النّبيُّ صلى الله

(١) انظر: جامع البيان للطّبري (١١/١٨)، الهداية إلى بلوغ النِّهاية لمكّي (٤٩٥٢/٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

عليه وسلم: "أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُهُ وأغيَظُهُ عليه رجلٌ كان يُسمّى مَلِكَ الأملاك، لا مَلِكَ إلّا اللهُ"(١)، وذلك أنه ادّعى لنفسه ما ليس له.

ثمّ إنّ غيرَ الله مهما عظُم سُلطانه وامتدّت أيّامه فمصيره إلى فناء ومنتهى مُلْكه إلى زوال، وكم من قياصرة وأباطرة وسلاطين سادوا ثمّ بادوا، وممالك قَوِيتْ ثمّ مُحِيَتْ كأن لم تكن، ومن بليغ ما يُروى في هذا الباب أنّ هارون الرّشيد لـمّا احتُضِر أَمَرَ أن يُحفَر قبرُه، ثمّ أَمَر فحُمِل إليه فجعل يتأمّله ويقول – وهو يبكي –: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة:٢٨-٢٩](٢)، ولـمّا احتُضِر الواثقُ أمر بالبُسُط فطُوِيتْ وألصَقَ خدَّه بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول مُلكُه؛ ارحَمْ من قد زال مُلكُه!(٣).

الثّالث: الاعتقاد الجازم بأنّ الله منفرد بتصريف الأمور على ما يوجب حُسنَ عواقبها(٤)، لا شريكَ له في ذلك لا مَلَك ولا نبيّ ولا وليّ، فهو قيُّوم السّموات والأرضين ومن فيهنّ وما بينهنّ، لا يقع شيء إلّا بتقديره ولا يتمّ أمرٌ إلّا وفق تدبيره، أحاط بالوجود علمًا فلا يعزُب عنه مثقالُ ذَرّة في السّموات ولا في الأرض، لا يَشغَلُه شأن عن شأن، ولا يُلهيه كبير عن صغير، يُعطي ويمنع، يَخفِض ويَرفَع، يَقبِض ويَبسُط، يُعِزّ ويُذِلّ، يَنفَع ويَضُرّ، يُحيي ويُميت، ما من دابّة في الأرض إلّا وهو متكفِّل برزقها ولو كانت نملةً سوداء على صخرة صمّاء في ليلة ظلماء.

ويتّضح ممّا سبق أنّ (التّدبير) لفظ عامّ يُقصَد به تصريفُ أمرِ كلِّ شيء وفق مشيئته النّافذة وحِكمته البالغة، ويدخل تحت هذا اللّفظ نوعان من التّدبير:

أ- التّدبير الشّرعي المتعلِّق بالتّكاليف الدِّينيّة وما يريده الله من عباده.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢١٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) المحتضرين لابن أبي الدّنيا (٨٨).

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٩/١٤).

(٤) الأسماء والصِّفات للبيهقي (٨٤/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ب- التّدبير الكوني، ويدخل فيه ما لا يُحصى من الأفعال الإلهيّة التي يَتِمّ بها تصريف أمر العالَم كما قال تعالى ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرّحمن:٢٩] فيَغْفِر ويُؤاخِذ، ويَقْبَل ويَرُدّ، ويَشفي ويُمرِض، ويَهَب ويَحرِم، ويُعَجِّل ويؤخِّر، وينصر ويخذل، ويزيد وينقص، ويُفرِح ويُحزن، ويَفتَح ويُمسِك، ويُزيل ويُقيم، ويُحيي ويُميت، يفعل ما يشاء ويقضي بما يريد وهو العليم الحكيم(١).

والقرآن العظيم مليء ببيان تدبير الله لأمر العالَم - عُلْويّه وسُفْليّه - كما تعالى ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السّجدة:٥]، وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾[فاطر:٤١]، وقال ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:١٣]، وقال﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١]، وقال ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]، وقال ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجْر:٢١]، وقال ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣]، وقال﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقال ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقال ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزُّخرف:٥٥]، وقال ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] ، وقال ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطّلاق:٧]، وقال﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[فاطر:٢]، وقال﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [يونس:١٠٧]، وقال ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النّمل:٦٢]، وقال ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤]، وقال ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعراء:٨٠] ،وقال ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال:٤٢]، وقال ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الأنفال:٤٣]، ومن كلام النّبيّ صلوات الله وسلامه عليه: "اللّهم لك الحمد؛ أنت قَيِّم السّماوات والأرض

(١) انظر: جامع البيان للطّبري (١٣٥/٢٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ومن فيهنّ"[١]، "اللّهمّ لا مانع لِمَا أَعطيتَ، ولا مُعطي لِمَا منعتَ"[٢]، "اعلم أنّ ما أصابَكَ لم يكن ليُخْطِئَكَ، وأنّ ما أخطأكَ لم يكن ليُصِيبَك، وأنّ الخلائق لو اجتمعوا على أن يُعطوكَ شيئًا لم يُرِدِ الله أن يُعطيَكَهُ لم يقدروا على ذلك أو أن يَصرِفُوا عنك شيئًا أراد الله أن يُعْطِيَكَهُ لم يقدروا على ذلك"[٣].

ومن خلال هذا العرض يتّضح أنّ القضاء والقدر داخل في توحيد الرُّبوبيّة؛ من جهة أنّ تقدير الله من أفعاله سبحانه.

ثمّ إنّ التّدبير الشّامل المطلق الذي لا يَخرُج عنه شيء لا يكون إلّا لله وحده، أمّا الإنسان فإنّ له تدبيرًا يناسب حالَه وقُدرتَه، ومع هذا فإنّ تدبيره دليل قصوره، فقد يكون تدميرُه في تدبيره، ثمّ إنه قد يتمّ له ما أراد وقد لا يتمّ؛ لأنّ تدبير الله من وراء كلّ تدبير، والله غالبٌ على أمره.

وكذلك الملائكة فإنّ لها تدبيرًا كما قال تعالى ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات:٥]، لكنها لا تُدَبِّر الأمورَ ابتداء وإنما تنفِّذ ما أُمِرتْ به، فالله "هو المدبِّر أمرًا وإذنًا ومشيئة، والملائكة المدبِّرات مباشرةً وامتثالًا"[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة (ت:٧٢٨هـ): "لمّا كان وجوب الوُجُود من خصائص ربّ العالمين، والغِنى عن الغير من خصائص ربّ العالمين؛ كان الاستقلال بالفعل من خصائص ربّ العالمين، وكان التّنزُّه عن شريكٍ في الفعل والمفعول من خصائص ربّ العالمين ...

ولهذا لا يستحقّ غيرُه أن يُسمّى خالقًا ولا ربًّا مطلقًا ونحو ذلك؛ لأنّ ذلك يقتضي الاستقلالَ والانفرادَ بالمفعول المصنوع، وليس ذلك إلّا لله وحده"[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٠٦٩) من حديث عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٠٨)، ومسلم في صحيحه برقم (٥٩٣) من حديث المغيرة بن شُعبة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه بهذا اللّفظ عبدُ بن حُمَيد في مسنده برقم (٦٣٦)، والحاكم في مستدركه برقم (٦٣٠٣). والحديث أصله في سُنن أبي داود برقم (٤٦٩٩) وسنن ابن ماجه برقم (٧٧) ومسند أحمد برقم (٢١٦٢٩).

(٤) إغاثة اللّهفان لابن القيّم (١٣٠/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

فالحاصل أنّ حقيقة الرّبوبية هي إفراد الله بما يختصّ به من أفعال "فلا خالقَ ولا رازقَ، ولا مُعطي ولا مانعَ، ولا محييَ ولا مميتَ، ولا مُدَبِّرَ لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيرُه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرَّك ذرَّةٌ إلّا بإذنه، ولا يجري حادثٌ إلّا بمشيئته، ولا تسقط ورقةٌ إلّا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقالُ ذَرَّةٍ في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ إلّا وقد أحصاها علمُه، وأحاطت بها قدرتُه، ونَفِذَت بها مشيئتُه، واقتضتها حكمتُه"(٢).

وممّا يجب التّفَطُّن له أنه لا يصحّ لأحدٍ إيمانٌ ولا يتحقّق له توحيد إلّا إذا أقرّ لله تعالى بربوبيّته، غير أنّ الإقرار بهذا النّوع من التّوحيد وحده – على أهمِّيّته – لا ينفع العبدَ في دنياه ولا يُنجيه في أُخراه ما لم يأتِ بلازمه الذي هو توحيد الأُلوهيّة، وتوحيد الأُلوهيّة هو المقصود الوحيد من إيجاد الثّقلين كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات:٥٦]، "وبهذا النّفي في أوّل الآية الكريمة والاستثناءِ في آخرها يحصر الله تعالى مهمّةَ الإنس والجنّ ويقصرها على وظيفة واحدة ومسؤوليّة واحدة هي عبادة الله تعالى وحده، فليس لهم وراء ذلك وظيفة أو غاية، وما ينبغي أن يكون"(٣).

وامتدادًا لتحقيق هذه الغاية العظمى بعث الله الرُّسُل الذين حملوا على عواتقهم مهمّةَ تصحيح المسار المنحرف للبشريّة بتحرير الإنسان من العبوديّة لغير الله تعالى كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النّحل:٣٦]، وقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ولقد وعى المسلمون الأوائل هذا المعنى التّحريري للجهاد واستصحبوه في فتوحاتهم؛ ولهذا حين سأل رستمُ قائدُ الفرس رِبْعِيَّ بن عامر – وذلك قبل نشوب معركة القادسيّة –: ما جاء بكم؟

قال له رِبْعِي: اللهُ جاء بنا لنُخرِجَ من شاء من عبادة العِباد إلى عبادة الله"(٤).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٣٤/٢).

(٢) مدارج السّالكين لابن القيّم (٥١٠/٣).

(٣) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان ضميرية (٢٨٤).

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطّبري (٤٠١/٢)، المنتظم لابن الجوزي (١٦٨/٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ومما يدلّ دلالة قاطعة على أنّ توحيد الرُّبوبيّة لا يكفي وحده أنّ الله عزّ وجلّ أخبرنا في مواضعَ متعدِّدة من كتابه الكريم أنّ أكثر المشركين كانوا مُقِرّين بربوبيّته، فقد كانوا يؤمنون بأنه هو المتفرِّد بالخلق والمُلْك والتّدبير كما قال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزُّخرف:٨٧]، وقال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[لقمان:٢٥]، وقال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[الزُّخرف:٩]، وقال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[العنكبوت:٦١]، وقال ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[المؤمنون:٨٤-٨٥]، وقال ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[العنكبوت:٦٣]، وقال ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:٣١].

كما أنه تعالى كثيرًا ما يحتجّ على المشركين بما يُثبتون على ما يجحدون، فيَحتجّ عليهم بإثباتهم لانفراده في ربوبيّته على وجوب إفراده في أُلوهيّته كما في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:٢١ - ٢٣]، وقوله ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النَّمل:٥٩ - ٦٤]، ولولا أنهم كانوا مقرّين بربوبيّة الله إقرارًا تامًّا لمَا كان لهذا الاحتجاج معنى.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ويُعَدّ هذا النّوع من الاحتجاج من أقوى أنواع الاحتجاج – أو أقواها – إذ هو استدلالٌ بالملزوم على اللّازم وبالمقدِّمة على النّتيجة، ومن هنا جعله بعضُ العلماء البرهانَ الأعلى على الأُلوهيّة(١).

وقد صرّح ابن جرير الطّبريُّ (ت:٣١٠هـ) بأنّ العرب "كانت تُقِرّ بوحدانيّته، غيرَ أنها كانت تُشرِك في عبادته"(٢).

وأشار الجلال السُّيُوطي (ت:٩١١هـ) إلى أنه "لم يكن كفرُهم إنكارًا للصّانع ولِأُلوهيّته، ولا ادَّعَوا في الأصنام أنها تَخلُق وتُدبِّر ... بل كانوا يُقِرُّون لله بالإلهيّة وأنه الخالق المُدَبِّر ... وكانوا يزعمون أنّ الأصنام تشفع لهم عند الله"(٣)، ثمّ خلص إلى "أنّ كفرَهم كفرُ إشراك لا كفرَ إنكارٍ لوجود الصّانع"(٤)، وهذا ظاهرٌ في تلبيتهم حيث كانوا يردِّدون: "لبّيكَ اللّهمّ لبّيك لا شريك لك، إلّا شريكٌ هو لك، تملكه وما مَلَك"(٥)، "ولهذا لم يرد التّكليفُ بمعرفة وجود الصّانع، وإنما ورد بمعرفة التّوحيد ونفيِ الشّريك"(٦).

وأمّا تلك الأصنام التي نصبوها وهاتيك الأوثان التي اتّخذوها فلم يكونوا يعبدونها ويتقرّبون إليها لذواتها وإنما باعتبارها وسائطَ تشفع لهم عند الله في قضاء حوائجهم وكشف شدائدهم كما في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزُّمَر:٣]، وهذا إقرار ضِمْنيّ منهم بأنه لا شيء من تلك المعبودات شريك لله في ربوبيّته؛ وإلّا لكانت مقصودةً لذاتها.

ولا ريب بأنّ في تعدُّد ذِكْر هذا الإقرار في مواضع مختلفة من القرآن وعلى أنحاء متنوِّعة دلالةً بيّنة على أنّ هذا النّوع من التّوحيد كان محلَّ تسليم عندهم لا اعتراض لهم عليه، غير أنّ اعتراضهم ونفورهم كان من دعوتهم إلى عبادة الله وحده كما في قوله

---

(١) منهج الشّيخ محمد رشيد رضا في العقيدة لتامر متولِّي (٢٦٤).

(٢) جامع البيان للطّبري (١٦٤/١).

(٣) التّعظيم والمنّة للسُّيُوطي (٤٤).

(٤) التّعظيم والمنّة للسُّيُوطي (٤٥).

(٥) جامع البيان للطّبري (٧٩/١٣)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٢٢٠٨/٧).

(٦) نهاية الإقدام في علم الكلام للشَّهرَستاني (٧٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البيّنة:٥]؛ وقوله ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُ﴾ [الزُّمَر:٣] وقوله ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ﴾ [الأنعام:١٦٢ – ١٦٣]، فالدّعوة التّوحيديّة غريبة عليهم مصادمة لموروثهم، إذ الشّرك في العبادة هو دينهم ودين آبائهم؛ نشؤوا عليه حتى ألفوه، ومن أَلِفَ شيئًا نَفَرَ ممّا سواه، ولهذا كان التّوحيد من أبغض الأشياء إلى نفوسهم كما قال سبحانه ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الزُّمَر:٤٥]، وحين سمعوا كلمة التّوحيد من النّبيّ صلى الله عليه وسلم فزعوا وقاموا ينفضون ثيابهم ويقولون – على جهة الاستنكار – :﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

ونحن إذا نظرنا إلى حال المشركين مع التّوحيد وكونِ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لم يكتفِ منهم بما كانوا عليه من الإقرار بتوحيد الرُّبوبيّة بل دعاهم إلى توحيد الأُلُوهيّة وقاتلهم عليه علمنا أنّ الإقرار بالرُّبُوبيّة فقط لا يستوجب الدّخولَ في الإسلام وجريانَ أحكامه في الدّنيا، ولا يمنع من العذاب الأبديّ والخزي السّرمديّ في الآخرة.

وقد أخبر الله تعالى بما كان عليه أكثر المشركين من الإيمان برُبُوبيّته من جهة والإشراكِ في أُلُوهيّته من جهةٍ أخرى فقال ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦](١).

قال مجاهد (ت:١٠٤هـ) في تفسير هذه الآية: "(إيمانُهم) قولُهم: الله خالقُنا ويرزقُنا ويُميتنا، فهذا إيمان مع شركِ عبادتهم غيرَه"(٢).

(١) انظر: جامع البيان للطّبري (٧٧/١٣)، لُباب التّأويل للخازن (٣٢٠/٣)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٩٥/٢).

(٢) جامع البيان للطّبري (٧٨/١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المبحث الثاني: الخطأ في توحيد الرُّبوبيّة، وأسبابه، وآثاره.

وقد أخطأ في توحيد الرّبوبيّة طائفتان:

الطّائفة الأولى: المتكلِّمون من الأشاعرة وغيرهم ممّن يسمّون هذا النّوع من التّوحيد (توحيد الأفعال)[١]، ويجعلون مناط تحقيقه هو اعتقاد أنه لا تأثير لغير الله في فعل من الأفعال على جهة الاستقلال والإيجاد[٢]، وكلّ ما يصدر عن العباد من الأفعال الاختياريّة فهي مخلوقة لله تعالى – وهذا حقّ –، إلّا أنهم ينفون أن يكون للعباد قُدرةٌ مؤثِّرة في أفعالهم، جاعلين نسبةَ تلك الأفعال إليهم نسبةَ كسب، بمعنى أنها نسبة مجازيّة لا حقيقيّة[٣].

وهذا النّوع من التّوحيد عندهم أهمّ أنواع التّوحيد وأشهرها، وهو منتهى الغايات وذروة النّهايات، وقد اتّجهت عنايتُهم إلى إقامة الدّلائل ونصب البراهين على إثبات تفرُّدِ الله تعالى بإيجاد العالَم واستقلاله بالتّأثير فيه، وأنه لا يمكن أن يكون للعالَم صانعان متكافئان في الصِّفات ولا في الأفعال.

وهذا السّياق يقرّر أحمد زيني دَحْلان (ت:١٣٠٤هـ) أنّ الاعتقاد الصّحيح لأهل السُّنّة والجماعة هو "اعتقادهم أنّ الخالقَ للعباد وأفعالِهم هو الله تعالى، لا تأثير لأحدٍ سواه لا لحيّ ولا لميّت، فهذا الاعتقاد هو التّوحيد المحض، بخلاف ما لو اعتقد غير هذا فإنه يقع في الإشراك"[٤].

هذا ما ذهبوا إليه مع أنّ النُّصُوص المتوافرة قد دلّت على أنّ مشركي قريش الذين بُعث فيهم النّبيُّ صلى الله عليه وسلم لم يكونوا ينكرون وُجُودَ الله وانفراده بربوبيّة هذا العالَم كما بيّنه القرآن في مواضع، ولا يقتصر الأمر عليهم بل إنه من الـ"معلوم أنّ أحدًا من الخلق لم يزعم أنّ الأنبياء والأحبارَ والرُّهبان أو المسيحَ بنَ مريمَ شاركوا الله في خلق السّموات والأرض، بل ولا زعم أحد من النّاس

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٩٨/٣).

(٢) انظر: تحفة المريد شرح جوهرة التّوحيد للبيجوري (٧٠).

(٣) انظر: المطالب العالية للرّازي (٩/٩)، المواقف للإيجي (١١٩/٢).

(٤) الدُّرر السَّنيّة لزيني دحلان (٢٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

أنّ العالم له صانعان متكافئان في الصِّفات والأفعال، بل ولا أثبت أحد من بني آدم إلهًا مساويًا لله في جميع صفاته، بل عامّة المشركين بالله مُقِرُّون بأنه ليس شريكُه مثلَه، بل عامّتُهم مُقِرّون أنّ الشّريك مملوك له سواءٌ كان مَلَكًا أو نبيًّا أو كوكبًا أو صنمًا، كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: «لبّيكَ لا شريك لك، إلّا شريكًا هو لك، تملكه وما ملَكَ» ...

وقد ذكر أرباب المقالات ما جمعوا من مقالات الأوّلين والآخرين في المِلَل والنِّحَل والآراء والدِّيانات، فلم ينقلوا عن أحد إثباتَ شريكٍ مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات"(١).

و"هذا التّوحيد [= الذي هو توحيد الرُّبوبيّة] لم يذهب إلى نقيضه طائفةٌ معروفة من بني آدم؛ بل القلوبُ مفطورة على الإقرار به أعظمُ من كونها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات؛ كما قالت الرُّسُل – فيما حكى الله عنهم – ﴿قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[إبراهيم:١٠]"(٢)، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ النّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسولُ الله ..." (٣)، ولم يقل: (أُمِرْتُ أن أُقاتِلَ النّاسَ حتى يُثبتوا وجود الله وربوبيّتَه)؛ لأنهم كانوا مقرّين بذلك أصلًا.

ومن هنا قال شيخ الإسلام ابن تيميّة (ت:٧٢٨هـ): "كان الكفّار يُقِرُّون بتوحيد الرُّبُوبيّة، وهو نهاية ما يُثبته هؤلاء المتكلِّمون"(٤).

والذي يظهر – والعلم عند الله تعالى – أنّ من أهمّ أسباب إهمال هؤلاء لتوحيد الألوهيّة وتعظيمِهم لتوحيد الرُّبوبيّة هو قولهم بالإرجاء، حيث جعلوا الإيمانَ – في المشهور عندهم – هو "التّصديق بالجَنان، وأمّا القول باللِّسان والعمل بالأركان ففروعُه، فمَن صدّقَ بالقلب (أي: أقرّ بوحدانيّة الله تعالى واعترف بالرُّسُل تصديقًا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب) صحّ إيمانُه"(١).

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٩٦/٣).

(٢) العقيدة الطّحاويّة لابن أبي العِزّ (٧٦). وانظر: درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (٣٨/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٥)، ومسلم في صحيحه برقم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيميّة (٢٤٩/٥). وانظر له أيضًا: مجموع الفتاوى (١٠١/٣)، درء تعارض العقل والنّقل (٢٢٦/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وعليه فما دامت الطّاعات – سواء كانت أوامرَ أو نواهيَ، وسواء كانت قوليّةً أو فعليّة – لا تَدخُل في مسمّى الإيمان المُنجي من الخُلُود في النّيران بل هي من فُرُوعه ومُكمِّلاته؛ فليس فيهنّ ما يؤثِّر عدمُه أو مخالفتُه في صحّته.

وقد تفرّعت عندهم عِدّةُ مسائل عن الخطأ في توحيد الرُّبوبيّة، منها ما يلي:

١- تحديد أوّل واجب على المكلَّف، فقائلٌ: هو معرفة وجود الله تعالى وخَلْقه للعالَم، وقائل: بل هو ما يُتَوصَّل به إلى هذه المعرفة؟ ثمّ اختَلَفَ هؤلاء في تحديد ذلك المُتَوصَّل به على مذاهب: أهو الشَّكّ؛ لتوقُّف القصد إلى النَّظَر عليه؟ أم هو القصد إلى النَّظَر الصّحيح المفضي إلى العلم بحدوث العالَم؟ أم هو النَّظَر دون توقُّفٍ على تَيْنِكَ المقدِّمتين؟(٢)

وقد انبنى على تنازُعِهم في هذه المسألة خلافُهم في صحّة إيمان المقلِّد من غير معرفة منه بالدّليل؟(٣)

والصّحيح "أنّ الشّهادتين أوّلُ واجبات الدِّين كما عليه خُلَّصُ أهل السُّنّة"(٤)، و"السَّلفُ والأئمّة متّفقون على أن[هما] أوّل ما يؤمر به العِباد"(٥)، هذا من جهةِ الإطلاق وباعتبار النَّظَر إلى ذات الواجب المرادِ تحقيقُه، وأمّا باعتبار النَّظَر إلى مَن يتعلَّق بهم الوجوبُ فإنّ هذا يختلف باختلاف الأحوال، والنّاس في ذلك ليسوا على حدّ سواء بل هم متفاوتون.

---

(١) المِلَل والنِّحَل للشَّهرَستاني (١٠١/١). وانظر: شرح صحيح مسلم للنّووي (١٤٨/١)، التّفسير الكبير للرّازي (٢٤/٢)، معالم أصول الدِّين له أيضًا (١٣٣)، المواقف للإيجي (٥٢٧/٣).

(٢) انظر: الإنصاف للباقلاني (٣٣)، الغُنية في أصول الدِّين لأبي سعيد النَّيسابوري (٥٥)، درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (٣٥٢/٧)، المواقف للإيجي (١٦٥/١)، البحر المحيط للزَّرْكَشِي (٣٧/١)، عمدة القاري للعَيني (١٦٥/١).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢١٢/٢)، البحر المحيط للزَّرْكَشِي (٥٦١/٤)، فتح الباري لابن حجر (٣٤٩/١٣)، لوامع الأنوار البهيّة للسَّفّاريني (٢٦٧/١).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٧٦/١).

(٥) انظر: درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (١١/٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: "أوّل الواجبات الشّرعيّة يختلف باختلاف أحوال النّاس، فقد يجب على هذا ابتداءً ما لا يجب على هذا ابتداء، فيُخاطَب الكافر عند بلوغه بالشّهادتين وذلك أوّل الواجبات الشّرعيّة التي يؤمر بها، وأمّا المسلم فيُخاطَب بالطّهارة إذ لم يكن متطهِّرًا وبالصّلاة وغير ذلك من الواجبات الشّرعيّة التي لم يفعلها.

وفي الجملة فينبغي أن يُعلَم أنّ ترتيب الواجبات في الشّرع واحدًا بعد واحد ليس هو أمرًا يستوي فيه جميع النّاس بل هم متنوّعون في ذلك، فكما أنه قد يجب على هذا ما لا يجب على هذا فكذلك قد يؤمر هذا ابتداءً بما لا يؤمر به هذا، فكما أنّ الزّكاة يؤمر بها بعضُ النّاس دون بعض وكلُّهم يؤمر بالصّلاة فهم مختلفون فيما يؤمرون به ابتداء من واجبات الصّلاة، فمن كان يحسن الوضوء وقراءة الفاتحة ونحو ذلك من واجباتها أُمِرَ بفعل ذلك، ومن لم يحسن ذلك أُمِرَ بتعلُّمِه ابتداءً، ولا يكون أوّل ما يؤمر به هذا من أمور الصّلاة هو أوّل ما يؤمر به هذا"(١).

وقال أيضًا: "إذا خاطب الشّارع النّاس فإنما يأمر العبدَ ابتداءً بما لم يؤدِّه من الواجبات دون ما أدّاه، فلم يخاطِب المشركين ابتداءً بالمعرفة إذ كانوا مُقرّين بالصّانع وإنما أمرهم بالشّهادتين، ولو لم يكونوا مُقرّين بالصّانع فإنه لم يأمرهم بإقرارٍ مجرَّدٍ عن الشّهادتين، بل أمرهم بالشّهادتين ابتداءً، والشّهادتان تتضمّن المعرفة، فلو أقرّوا بالصّانع وعرفوه من غير إقرارٍ بالشّهادتين لم يَقبَل ذلك منهم ولم يخرجوا بذلك من الكفر ولم يُرَتِّب خِطابهم بذلك شيئًا بعد شيء، بل خاطبهم بالجميع ابتداء"(٢).

٢- قول من قال منهم بأنّ معنى (الإله) هو القادر على الاختراع - بناءً على كون خَلْق الأعيان وإيجاد الأعراض أخصَّ أوصاف الإله عند الأشاعرة -(٣)، وأنّ معنى (لا إله إلّا الله): لا قادرَ على الاختراع إلّا الله، ومن ثَمّ قَصَرَ كثيرٌ منهم حقيقةَ

(١) درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (١٦/٨).

(٢) درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (١٤/٨).

(٣) انظر: أصول الدين للبغدادي (١٢٣)، الملل والنِّحَل للشَّهْرستاني (١٠٠/١)، نهاية الإقدام له أيضًا (٥٦)، المطالب العالية للرّازي (٢٨٥/٩).

تتمّة: أخصّ أوصاف الإله عند جمهور المعتزلة هو القِدَم.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

التّوحيد على "مجرَّد اعتقاد أنّ العالَمَ له صانع واحد"[١]، ظانّين "أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدّليل فقد أثبتوا غايةَ التّوحيد"[٢]، وأنّ "مَن أقرّ بأنّ الله هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلّا هو"[٣].

ولا ريب أنّ تفسير (الإله): بـ(المُخترِع) تفسير خاطئ؛ فإنّ هذا لا يُعرف في كلام الله ولا في كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في لسان العرب.

كما أنّ هذا التّفسير الخاطئ كان من أهمّ العوامل التي أسهمت في انتشار الشِّرك في العبادة بين جهلة المسلمين من سجود للقبور وطواف بالأضرحة وتقديس للمزارات واستغاثة بالأموات وذبح لهم إلى غير ذلك.

والصّحيح أنّ معنى (الإله): هو المعبود -كما سيأتي - وأنّ معنى (لا إله إلّا الله): لا معبودَ حقٌّ أو بحقٍّ إلّا الله[٤].

٣- دعوى كثير منهم أنّ لفظ (الرَّبّ) ولفظ (الإله) بمعنى واحد فهذا بمعنى هذا؛ إمّا على سبيل التُّرادُف أو من جهة كونهما متلازِمَينِ تلازُمًا هو بمعنى التّرادُف، وأنّ معنى (لا إلهَ إلّا الله): لا ربّ إلّا الله، وأرادوا التّوصُّل من خلال هذا الادِّعاء إلى أنه لا فرق بين توحيد الرُّبوبيّة وتوحيد الألوهيّة[٥].

والتّحقيق أنّ أخصّ أوصاف الإله ليس شيئًا واحدًا بل هو كلّ ما لا يوصف به غيرُه، مثل: خَلْقه لكلّ شيء، وعلمه بكلّ شيء، وقُدرته على كلّ شيء، فالقُدرة على الاختراع ليست وحدها أخصَّ صفاته بل هي من جملة خصائصه سبحانه. انظر: منهاج السُّنّة النّبويّة لابن تيميّة (٢٩٤/٣)، الاستغاثة في الرَّدّ على البَكري له أيضًا (١٧٧/١).

(١) درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (٣٧٧/٩).

(٢) درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (٢٢٥/١).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٠١/٣).

(٤) انظر: جامع البيان للطّبري (٨١/٢٤) و(٥٣/٢٦)

(٥) انظر: جهود علماء الحنفيّة في إبطال عقائد القُبُوريّة للشّمس الأفغاني (١٧٩/١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وقد نبّه الشّيخ محمد رشيد رضا (ت:١٣٥٤هـ) إلى أنّ "منشأ هذا الخطأ هو الغفلةُ عن مدلول ألفاظ القرآن في اللُّغة العربيّة واستعمالُها بلوازم معناها العُرفيّة كلفظ (الإله)؛ فإنّ معناه في اللُّغة: المعبود مطلقًا لا الخالق ولا المدبّر لأمر العالَم كلِّه ولا بعضه، ولم يكن أحدٌ من العرب الذين سَمَّوا أصنامهم وغيرها من معبوداتهم آلهةً يعتقدون أنّ اللّات أو العُزّى أو هُبَلًا خَلَقَ شيئًا من العالَم أو يُدَبِّر أمرًا من أموره، وإنما تدبير أمور العالَم يدخل في معنى لفظ الرَّبّ"(١).

والصّواب أنّ (الرَّبّ) و(الإله) لفظان متباينان من جهة اللّغة ومن جهة الاستعمال القرآنيّ أيضًا، فـ(الرَّبّ) في اللُّغة هو "المالك والسَّيّد والمُدَبّر والمُرَبّي والقَيّم والمُنعِم"(٢)، فمعانيه كلُّها تدور حول مُلك الشَّيء والقيام عليه وإصلاحه(٣)، ولهذا فإنّ الأصل في استعمالاته بمختلف اشتقاقاته أن يجيء مناسبًا للكلام عن أفعال الله تجاه مخلوقاته خَلْقًا ومُلكًا وعنايةً وتدبيرًا كما في قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وقوله ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقوله ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٠٥]، وقوله ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾[الأعراف: ٥٨]، وقوله ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [النّحل: ٢٤]، وقوله ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ [الأنبياء: ٥٦]، وقوله ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [الشُّعراء: ٦١ – ٦٢].

---

(١) تفسير المنار (٩٨/٩).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣٩٩/١).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (٣٨١/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

أ.د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

وأمّا (الإله) فهو مشتقٌّ من أَلِه يألَهُ إلاهةً وأُلُوهةً وأُلُوهيّةً أي: عبادة، والتّألُّه: التّعبُّد، و(إله) فِعالٌ بمعنى مفعول أي: معبود(١)، ولهذا فإنه لا يجيء إلّا بمعنى المعبود أو المعبودات كما في قوله تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقوله ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقوله ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقوله ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٤٠]، وقوله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وقوله ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزُّخرف: ٤٥]، وقوله ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحِجْر: ٩٥ - ٩٦]، وقوله ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقوله ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، وقوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقوله ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وقوله ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشُّعَراء: ٢١٣]، وقوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذّاريات: ٥١].

غير أنّ هذين اللّفظَينِ وإن كانا متبايني الدّلالة من حيث أصل الوضع اللُّغويّ إلّا أنّ بينهما علاقةً وثيقة من جهة استلزام الرُّبُوبيّة للأُلُوهيّة وتضمُّن الأُلُوهيّة للرُّبُوبيّة، ولهذا فإنه قد يستعمل أحدُهما في موضع الآخر لنُكتة فيكون حينئذٍ شاملًا للمعنيين كما في قوله تعالى ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، وقوله ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقوله

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقوله ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة:٣١]، وقوله ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]،

(١) انظر: الصّحاح للجوهري (٦/٢٢٢٤)، المحكم والمحيط الأعظم لابن سِيْدَه (٤/٣٥٨)، معجم مقاييس اللّغة لابن فارس (١/١٢٧)، المصباح المنير للفَيُّومي (١/١٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وقوله ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٠].

ومنه أيضًا قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم في فتنة القبر: "فيأتيه مَلَكان فيُجْلِسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ ..." [(١)]، وقول راشد بن عبد ربّه السُّلَميّ رضي الله عنه:

أَرَبٌّ يبول الثُّعْلبانُ برأسه؟! لقد ذلَّ مَن بالت عليه الثّعالبُ![(٢)]

ولا يخفى أنه وإن عُبِّر بألفاظ الرُّبوبيّة فإنّ لازمها الذي هو أُلُوهيّة الله هو المقصود.

إمّا إذا اجتمعا في نصٍّ واحد فإنّ كلّ واحد منهما مستقلٌّ بمعناه الخاصّ كما في قوله عزّ وجلّ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ – ٣] [(٣)]، وقوله ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، وقوله ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

الطّائفة الثّانية: كثير من الصُّوفيّة الذين حصروا التّوحيد في تحقيق الرُّبُوبيّة لله وحده خَلقًا ومُلكًا وتدبيرًا كما قال بعضهم: "العُبُوديّة شُهُود الرُّبوبيّة"[(٤)]، فالتّوحيد عندهم – الذي هو توحيد الخاصّة – متعلّق بـ"معرفة وحدانيّته الثّابتة له في الأزل

(١) أخرجه أبو داود في سُننه برقم (٤٧٥٣)، والتّرمذي في سُننه برقم (٣١٢٠)، وأحمد في مسنده برقم (١٨٥٥٧) وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وهو في صحيح مسلم – مختصرًا – برقم (٢٨٧١).

(٢) البيت في: الأمثال للقاسم بن سلّام (١٢٢)، الطّبقات الكبرى لابن سعد (٣٠٨/١)، أدب الكاتب لابن قُتيبة (٢٢٧).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢٨٤/١٠)، الدُّرَر السَّنيّة في الأجوبة النّجديّة (١٠٦/١).

(٤) الرِّسالة القُشَيريّة لأبي القاسم القُشَيري (٢٣٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

والأبد"[١]، ثمّ ما زال الحال يترقّى بهم حتى جعلوا شُهُودَ هذا التّوحيد والفناءَ فيه عن شُهُود السِّوى هو غايةَ السّالكين ومنتهى أمل الطّالبين والغايةَ التي لا غاية وراءها!

والمقصود عندهم بـ(شُهُوده والفناء فيه): أن يستغرق العارفُ في مشاهدة الوحدانيّة استغراقًا يحجُبُ حواسَّه عن رؤية كلِّ ما سوى الله عزّ وجلّ[٢]، فيغيب وعيُه في تلك الحالة عن الإحساس بكلّ ما حوله حتى نفسه التي بين جنبيه، أو كما قال ابنُ عَجِيبة الصُّوفي الشّهير (ت:١٢٢٤هـ): "أن تبدو لكَ العظمةُ فتُنسيَكَ كلَّ شيء، وتُغَيِّبَكَ عن كلّ شيء، سوى الواحد الذي ليس كمثله شيء وليس معه شيء"[٣]، وهذه هي وحدة الشُّهُود[٤].

وكان من نتاج هذا غلوّ هؤلاء في تحقيق توحيد الرُّبوبيّة أمور من أهمِّها ما يلي:

أ- زعمُ بعض غُلاتهم وزنادقتهم أنّ "العارف إذا فني في شُهُود توحيد الرُّبُوبيّة لم يستحسن حسنةً ولم يستقبح سيئة"[٥] وأنّ "مَن شَهِدَ الإرادة سقط عنه التّكليف"[٦] وأنّ "مَن شَهِدَ القَدَرَ سقط عنه الملام"[٧]؛ ويعلِّلون لذلك بالقول إنه لا يمكن أن يقع شيء في مُلك الله إلّا بإرادته، وهو لا يريد إلّا ما يحبُّه ويرضاه، كما "أنّ الأمر والنّهي لازم لمن شهد لنفسه فعلًا وأثبتَ له صنعًا،

---

(١) كشّاف اصطلاحات الفُنُون والعُلُوم للتَّهَانَوِي (٥٢٨/١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٠١/٣)، مدراج السّالكين لابن القيّم (١٥٥/١).

(٣) إيقاظ الهِمَم في شرح الحِكَم لابن عَجِيبة (٣٧٠).

(٤) وبعد هذه المرحلة مرحلةُ أخرى هي مرحلة وحدة الوُجُود، والفرقُ بينهما عندهم أنّ العارف في وحدة الشُّهُود لا يرى شيئًا غيرَ الله، وأمّا في وحدة الوُجُود فهو يرى الله في كلّ شيء، وهذا توحيد خاصّة الخاصّة. انظر: إيقاظ الهِمَم في شرح الحِكَم لابن عَجِيبة (٣٧١).

(٥) منهاج السُّنة النّبويّة لابن تيميّة (٧٦/٣).

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٦١/١٠). والمقصود بـ(الإرادة): الإرادة الإلهيّة الكونيّة القدريّة. وانظر أيضًا: منهاج السُّنّة النّبويّة (٦٢٣/٢)، روح المعاني للآلوسي (٨٧/١٤).

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٤٩٩/١٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

أمّا من شهد أنّ أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك، وأنّ الله هو المتصرِّف فيه -كما تُحرَّكُ سائر المتحرِّكات - فإنه يرتفع عنه الأمرُ والنّهي والوعد والوعيد"[(١)]، ولا يلحقه كذلك لومٌ ولا ذمّ على ما تلبّسَ به من القبائح ولا ما ارتكبه من الموبقات كما قال بعضهم حين عوتب على ارتكابه معاصي الله: "إن كنتُ عاصيًا لأمره فأنا مطيعٌ لإرادته"[(٢)] يعني: إرادتَه الكونيّة القدريّة، وقال آخر: "العارف لا يُنكِر منكرًا لاستبصاره بسِرّ الله في القدر"[(٣)].

ولهذا لا بدّ وأن نُصادف في تراجِم بعض من تُدّعى فيهم الوَلايةُ من أكابر الصُّوفيّة ذكرُ من لم يكن يصلّي، ومن ذلك ما جاء في ترجمة أحمد البدوي (ت:٦٧٥هـ) من أنّ العلامة ابن دَقِيق العِيد (ت:٧٠٢هـ) أنكر عليه تركَه للصّلاة فقال: "إنك لا تُصلّي، وما هذا سُنَن الصّالحين! فقال: اسكُتْ وإلّا أُغَبِّر دقيقَك"[(٤)].

وجاء في ترجمة بركات الخيّاط (ت:٩٢٣هـ) أنّ جماعةً - فيهم جمال الدِّين الصّائغ مفتي الجامع الأزهر - سمعوا عنه فزاروه، فلمّا سلّم المؤذِّن للصّلاة يوم الجمعة قالوا: نُصلّي الجمعة، فقال لهم: ما لي عادةٌ بذلك، فأنكروا عليه فقال: نُصلّي اليوم لأجلكم![(٥)].

وجاء في ترجمة إبراهيمَ بن عصيفير (ت:٩٤٢هـ): أنه "ترك الصّلاة حتى الجمعة والجماعة، وصار لا يستنجي قطّ"[(٦)].

أمّا المنقول عنهم في هذا الباب من المخازي الأخلاقيّة فشيء يترفّع العاقل عن إيراده دون اضطرار.

ب- أنّ الاستغراق في شهود توحيد الرُّبوبيّة مهّد الطّريق وفتح الباب أمام القول بوحدة الوُجُود، والانتقال من مرحلة الفناء عن شُهُود السِّوى إلى مرحلة الفناء عن وجود السِّوى.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٦١/١٠).

(٢) طريق الهِجرتين لابن القيّم (١٥٤).

(٣) مدارج السّالكين لابن القيّم (٢٤٥/١).

(٤) شذرات الذّهب لابن العماد (٣٤٦/٥).

(٥) الطّبقات الكبرى للشَّعراني (١٢٥/٢).

(٦) الطّبقات الكبرى للشَّعراني (١٢٢/٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

ويقصد الصُّوفيّة بـ(وحدة الوُجُود) أن لا موجودَ في الحقيقة إلّا الله سبحانه وما ثَمّ أحد سواه، أمّا سائر المخلوقات فهي موجودة بوُجُود الله لا بإيجاده، والكون كلُّه خيال وكلُّ ما فيه ليس إلّا أشباحًا متوهَّمة، فهي بمثابة انعكاس ظلٍّ لصاحب الظِّلّ وصورةٍ مِرآةٍ لصاحب المِرْآة[١]، فالحقُّ هو عينُ الخلق، والعبدُ هو نَفْسُ الرّب، والخالقُ هو ذاتُ المخلوق، والكلُّ هو الواحد ولا فرق، ولهذا كان التّحقيق في معنى (لا إله إلّا الله) عندهم أن لا موجودَ إلّا الله، وما صدر عن بعضهم من كلمات كفريّة مستفظَعة كـ(سُبحاني، ما أعظمَ شاني) و(ما في الجُبّة إلّا الله)[٢] و(أنا الحقّ) و(إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا فاعبدوني) و(هل في الدّارَينِ غيري؟!)[٣] تكشف عن حقيقة هذا الاعتقاد ومنتهى قول معتنقيه، هذا على الرّغم من تواصيهم الدّائم بكتمانه وحرصهم على عدم التّظاهُر بالقول به فهو – عندهم – سِرّ الرُّبوبيّة الذي يحرم إفشاؤه حتى قال بعضُهم: "إفشاء سِرِّ الرُّبُوبيّة كُفر"[٤]، وقال آخر: "من صرَّحَ بالتّوحيد وأفشى الوحدانيّة فقتلُه أفضلُ من إحياء غيره"[٥]، ويقصدون بـ(التّوحيد) و(الوحدانيّة) القولَ بوحدة الوُجُود.

وقُصارى القول عندهم أنّ "الكون كلّه خيال، والوُجُودُ الحقُّ فيه الكبيرُ المتعال، عَلِمَهُ مَن عَلِمَه فاستراح، وجَهِلَهُ مَن جَهِلَه فلم يبرح من قفص الأشباح"[٦].

ولا ريب بأنّ هذه المقالة من أخبث المقالات وأهجن العقائد، والقائل بها أعظم كفرًا من اليهود والنّصارى.

---

(١) انظر: مفهوم الأُلُوهيّة وعلاقته بالولاية في الفكر الإسلامي لأشرف حافظ (١٠١).

(٢) الجُبّة: ثوب سابغ واسع الكُمَّين مشقوق المقدَّم يلبس فوق الثّياب. المعجم الوسيط (١٠٤/١).

(٣) انظر: التعرُّف لمذهب أهل التصوُّف للكلاباذي (١٤٥)، قوت القلوب لأبي طالب المكّي (١٢١/٢)، مشكاة الأنوار للغزالي (١٣٩)، تلبيس إبليس لابن الجوزي (٤١٩).

(٤) قوت القلوب لأبي طالب المكّي (١٤٧/٢)، إحياء علوم الدّين للغزالي (١٠٠/١).

(٥) قوت القلوب لأبي طالب المكّي (١٤٧/٢).

(٦) النُّور السّافر للعيدروس (١٥٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

وعودًا على بدء فإنّ الباب الذي يدلف منه الصُّوفي السّالك إلى هذه النِّحلة الخبيثة هو استغراق فِكْره في وحدة الشُّهُود، ومن خلالها يترقّى إلى القول بوحدة الوُجُود أو الاتِّحاد.

وقد أشار إلى العلاقة بين وحدة الشُّهُود ووحدة الوُجُود غير واحد، فقال ابن الدّبّاغ القَيْرواني (ت:٦٩٩هـ): "اعلم أنّ المُحِبّ ما لم يصل إلى مقام الاتِّحاد لا تنقطع الحُجُب التي بينه وبين محبوبه – فإنها كثيرة –، لكنّ بعضَها ألطفُ وأشدُّ نورانيّةً من بعض، وكلّما كُشِفَ له منها حِجَاب تاقت النَّفسُ إلى كشف ما بعده حتى تزول جميعُها عند الاتِّحاد"(١).

وقال أحمد التِّجَاني (ت:١١٥٠هـ) – شيخ الطّريقة التِّجَانيّة المشهورة –: "إنّها [يعني: حالة الاستغراق في المراقبة والشُّهُود] إن دامت للعبد وتمكّن أمرها من القلب خرجت به إلى الذُّهُول عن الأكوان، ثمّ إلى السُّكر عنها – وهو أعلى من الذُّهُول –، ثمّ إلى الفناء عن الأكوان مع شعوره بفنائه، ثمّ إلى الفناء عن الفناء، فإذا وصل إلى هذا الحدّ انمحق الغَيرُ والغَيرِيّة بهدم جميع الرُّسُوم والأطلال، وانمحق جميع الآثار، فلم يبق إلاّ الحقّ بالحقّ عن الحقّ"(٢).

ومثلما أثّر خطأ المتكلِّمين في فهم توحيد الرُّبوبيّة في انتشار الشّرك فكذلك أثر خطأ الصُّوفيّة، بل كان خطؤهم فيه أكبر وانحرافهم أشدّ.

---

(١) مشارق أنوار القلوب لابن الدّبّاغ (٦٤).

(٢) جواهر المعاني وبلوغ الأماني لعلي حرازم (٢٢٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

خاتمة وتتضمّن أهمّ النتائج

وبعد أنّ منّ الله تعالى بالانتهاء من هذا البحث فهذا عرض لأهمّ نتائجه:

١- أنّ المقصود بتوحيد الرُّبُوبيّة هو إفراد الله بالخَلْق والمُلْك والتّدبير، وهذا التّعريف أولى من تعريفه بإفراد الله بأفعاله، مع صحّة كلا التّعريفين.

٢- أنّ توحيد الرُّبُوبيّة ليس هو الغاية من خلق الثَّقَلَين، بل المقصود لازمُه الذي هو توحيد الأُلُوهيّة.

٣- أنه على الرّغم من أنه لا يثبت للمرء إيمان ما لم يوحِّد الله في رُبُوبيّته؛ إلّا أنه لا يكفي وحده في دخول الإسلام ولا في النّجاة الأُخرويّة.

٤- أنّ المتكلِّمين وكثيرًا من الصّوفيّة أخطأوا حين جعلوا توحيدَ الرُّبُوبيّة هو المنتهى الذي لا غاية للمرء بعده ولا مطلب للسّالك وراءه.

٥- أنّ القول بالإرجاء من أسباب تضخّم العناية بجانب الرُّبُوبيّة وإهمال توحيد الأُلُوهيّة.

٦- أنّ الخطأ في فهم توحيد الرُّبُوبيّة وإرجاع توحيد الأُلوهيّة إليه من أعظم أسباب انتشار الممارسات الشِّركيّة في القديم والحديث، وشُيُوع المفاهيم الخاطئة.

٧- أنّ بين لفظَي (الإله) و(الرّبّ) علاقةً وثيقة؛ من جهة استلزام الرُّبُوبيّة للأُلُوهيّة وتضمُّن الأُلُوهيّة للرُّبُوبيّة، ولهذا فإنه قد يُستعمل أحدُهما في موضع الآخر لنُكتةٍ ما؛ فيكون حينئذٍ شاملًا للمعنيين، إمّا إذا اجتمعا في نصٍّ واحد فإنّ كلّ واحد منهما مستقلٌّ بمعناه الخاصّ.

٨- أنّ تحديد أوّل واجب على المكلَّف عند المتكلِّمين وكذلك القول بأنّ معنى (الإله) هو القادر على الاختراع؛ كلاهما متفرّعان عن جعلهم توحيدَ الرُّبُوبيّة هو الغاية العظمى والمطلب الأسمى.

٩- أنّ أخصّ أوصاف الإله عند المعتزلة هو القِدَم، وأمّا عند الأشاعرة فهو الخَلْق.

ويوصي البحث بإفراد دراسات تتعلقّ ببيان خطأ الفلاسفة وغيرهم في توحيد الرّبوبيّة ودراسة أسباب ذلك الخطأ وتلمّس آثاره.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

توحيد الربوبية والخطأ فيه عند الأشاعرة والصّوفية؛ حقيقته وأسبابه وآثاره

Polytheism in the Deity for ashaerah and sofeah
Its truth, divisions, and some of its manifestations

Dr. Badr bin Nasser bin Mohammed Al – Awad
Professor in the Department of Belief and Doctrines
College of Sharia & Islamic Studies, Qassim
University

Abstract

This research deals with the concept of polytheism in general, and then polytheism in the deity in particular, turning to some issues related to it; such as; the difference between it and polytheism is in divinity, and the fact that the fall into it is greater, and that those who fall into it - in the ancient and modern times - are less.

On other hand, the research was keen to clarify the divisions of this type of polytheism, with giving examples of each section, and discussing what some scholars mentioned on this topic. Then the research concluded by listing many of its common and legitimate manifestations and practices among deviants in this section.

Key Words:

Polytheism, Lordship, independence by influence, reality of worship, holy people.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

المراجع والمصادر:

١- إحياء علوم الدِّين، أبو حامد محمد بن محمد الغَزَالي الطُّوْسي، د.ط، دار المعرفة - بيروت، د.ت.

٢- أدب الكاتب، عبد الله بن مسلم بن قُتَيبة، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، ط٤، مكتبة السّعادة - مصر، ١٩٦٣م.

٣- الاستغاثة في الرَّدّ على البَكْري، أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة، تحقيق: عبد الله بن دجين السّهلي، ط١، دار الوطن - الرّياض، ١٤١٧هـ.

٤- الأسماء والصّفات، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، د.ط، مكتبة السّوادي - القاهرة، د.ت.

٥- أصول الدِّين، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط١، مدرسة الإلهيّات بدار الفنون التركيّة - إسطنبول، ١٣٤٦هـ-١٩٢٨م.

٦- إغاثة اللّهفان من مصائد الشّيطان، محمد بن أبي بكر بن أيّوب ابن القيّم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م.

٧- الألفاظ والمصطلحات المتعلّقة بتوحيد الرُّبُوبيّة، آمال بنت عبد العزيز العمرو، جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض.

٨- الأمثال، أبو عُبيد القاسم بن سَلّام، تحقيق: د.عبد المجيد قطامش، ط١، دار المأمون للتّراث - دمشق، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٩- الإنصاف فيما يجب اعتقادُه ولا يجوز الجهلُ به، أبو بكر محمد بن الطّيِّب الباقلاني، تحقيق: عماد الدِّين أحمد حيدر، ط١، عالم الكتب - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠-إيقاظ الهِمَم في شرح الحِكَم، أحمد بن محمد بن المهدي بن عَجِيبة، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله، د.ط، دار المعارف - القاهرة، د.ت.

١١-البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر الزَّرْكَشي، تحقيق: د. محمد محمد تامر، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن محمد الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المختصّين، د.ط، د.م، دار الهداية، د.ت.

١٣- تاريخ الأُمَم والملوك، محمد بن جرير الطّبري، د.ط، دار الكتب العلميّة - بيروت، د.ت.

١٤- تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، د.ط، دار الكتب العلميّة - بيروت، د.ت.

١٥- تحفة المريد شرح جوهرة التّوحيد، إبراهيم بن محمد بن أحمد البيجوري، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، ط١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ٢٠١٩م.

١٦- التّعرُّف لمذهب أهل التّصوُّف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم الكَلَاباذي، د.ط، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٠٠هـ.

١٧- التّعظيم والمِنّة في أنّ أبَوَي رسول الله في الجنّة، جلال الدِّين عبد الرّحمن السُّيُوطي، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، د.ط، دار جوامع الكَلِم - القاهرة، د.ت.

١٨- تفسير القرآن الحكيم (= تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، د.ط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب - مصر، ١٩٩٠م.

١٩- تفسير القرآن العظيم مُسنَداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصّحابة والتّابعين (= تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرّحمن بن محمد بن إدريس الرّازي، تحقيق: أسعد محمد الطّيّب، د.ط، المكتبة العصريّة - صيدا.

٢٠- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدّمشقي، د.ط، دار الفكر - بيروت، ١٤٠١هـ.

٢١- تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: السيّد الجميلي، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٩٨٥م.

٢٢- جامع البيان المحتضرين، عبد الله بن محمد ابن أبي الدّنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار ابن حزم - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري، د.ط، دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٤- الجامع الصّحيح المختصر من أُمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسُنَنِه وأيّامِه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البُغَا، ط٣، دار ابن كثير - بيروت ، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٥- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، د.ط، دار الشّعب - القاهرة، د.ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٢٦- جهود علماء الحنفيّة في إبطال عقائد القبوريّة، شمس الدِّين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني، ط١، دار الصميعي - الرياض، ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

٢٧- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العبّاس التِّجَاني، علي حرازم ابن العربي براده المغربي الفاسي، ضبط وتصحيح: عبد اللّطيف عبد الرّحمن، ط١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٢٨- درء تعارض العقل والنّقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيميّة، تحقيق: عبد اللّطيف عبد الرّحمن، د.ط، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٩- الدُّرر السَّنيّة في الأجوبة النّجديّة، جماعة من العلماء، تحقيق: عبد الرّحمن بن محمد بن قاسم، ط٦، د.ن، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٠- الدُّرر السَّنيّة في الرّدّ على الوهّابيّة، أحمد زيني دحلان، د.ط، المطبعة الميمنيّة، د.ت.

٣١- الرسالة القُشَيريّة، عبد الكريم بن هوازن القُشَيري، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٣٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المَثَاني، محمود بن عبد الله بن محمود الآلوسي، د.ط، دار إحياء التّراث العربي - بيروت، د.ت.

٣٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القَزْوِيني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار الفكر - بيروت، د.ت.

٣٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السّجستاني، تحقيق: محمد محيي الدّين عبد الحميد، د.ط، دار الفكر - بيروت، د.ت.

٣٥- سنن التِّرمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة التِّرمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، د.ط، دار إحياء التّراث العربي - بيروت، د.ت.

٣٦- شذرات الذَّهَب في أخبار من ذهب، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد بن العِمَاد. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرناؤوط، ط١، دار بن كثير - دمشق، ١٤٠٦هـ.

٣٧- شرح العقيدة الطّحاويّة، محمد بن عليّ بن محمد ابن أبي العِزّ، ط٤، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩١هـ.

٣٨- شرح العقيدة الواسطيّة، محمد بن صالح العثيمين، دراسة وتحقيق: سعد فواز الصّميل، ط٥، دار ابن الجوزي - السُّعُودية، ١٤١٩هـ.

٣٩- الشِّرك في القديم والحديث، أبو بكر محمد زكريا، ط١، مكتبة الرُّشْد - الرِّياض، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٠- الصّحاح في اللّغة، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤١- صحيح مسلم بشرح النّووي، يحيى بن شرف بن مُرِّي النّووي، ط٢، دار إحياء التُّراث العربي - بيروت، ١٣٩٢هـ.

٤٢- صحيح مسلم، مسلم بن الحجّاج بن مسلم القُشَيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التُّراث العربي - بيروت، د.ت.

٤٣- الطّبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع، د.ط، دار صادر - بيروت، د.ت.

٤٤- طريق الهجرتين وباب السّعادتين، محمد بن أبي بكر أيوب بن القيّم، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، ط٢، دار ابن القيِّم - الدّمام، ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م.

٤٥- عُمدة القاري شرح صحيح البُخاري، محمود بن أحمد بن موسى العَيني، د.ط، دار إحياء التُّراث العربي - بيروت، د.ت.

٤٦- الغُنية في أصول الدِّين، أبو سعيد عبد الرحمن النَّيسابوري المتولي، تحقيق: عماد الدِّين أحمد حيدر، ط١، مؤسّسة الكتب الثقافيّة - لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٧م.

٤٧- الفتاوى الكبرى، أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، د.ط، دار المعرفة -بيروت، د.ت.

٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محبّ الدِّين الخطيب، د.ط، دار المعرفة - بيروت، د.ت.

٤٩- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، د.ط، مؤسّسة الرِّسالة - بيروت، د.ت.

٥٠- قُوت القُلُوب في معاملة المحبوب، ووصف طريق المُرِيد إلى مقام التّوحيد، أبو طالب محمد بن علي بن عطيّة المكّي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط٢، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٥١- القول المفيد على كتاب التّوحيد، محمد بن صالح بن عثيمين، ط٢، دار ابن الجوزي - السُّعُودية، ١٤٢٤هـ

٥٢- لباب التّأويل في معاني التّنزيل (=تفسير الخازن)، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشّهير بالخازن، د.ط، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٣- لسان العرب، محمد بن مُكَرَّم بن علي بن منظور الأفريقي، ط١، دار صادر - بيروت، د.ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٥٤- لواقح الأنوار القُدسيّة في مناقب العلماء والصّوفيّة المعروف بـ(الطّبقات الكبرى)، عبدالوهّاب بن أحمد الشَّعْراني، تحقيق: أحمد عبد الرّحيم السّايح وتوفيق علي وهبة، ط١، مكتبة الثّقافة الدّينيّة – القاهرة، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٥٥- لوامع الأنوار البهيّة وسواطع الأسرار الأثريّة لشرح الدُّرَّة المُضِيّة في عقد الفِرْقة المَرْضيّة، محمد بن أحمد بن سالم السّفّاريني، ط٢، مؤسّسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٥٦- المُحْكَم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل ابن سِيْدَه المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلميّة – بيروت، ٢٠٠٠م.

٥٧- مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيّم، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٥٨- مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة، د عثمان جمعة ضميريّة، ط٢، مكتبة السّوادي للتّوزيع، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م

٥٩- المستدرك على الصّحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة – بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٦٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل الشّيباني، د.ط، مؤسّسة قرطبة – مصر، د.ت.

٦١- مشارق أنوار القلوب ومفاتح أسرار الغيوب، عبد الرّحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي المعروف بابن الدّبّاغ، اعتنى به: عاصم إبراهيم الكيالي، د.ط، دار الكتب العلميّة – بيروت، د.ت.

٦٢- مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، أبو حامد محمد بن محمد الغَزَالي، تحقيق: عبد العزيز السّيروان، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦م.

٦٣- المصباح المنير في غريب الشّرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفَيُّومي، د.ط، المكتبة العلميّة – بيروت، د.ت.

٦٤- المطالب العالية من العلم الإلهي، محمد بن عمر بن الحسن الرّازي، تحقيق: الدّكتور أحمد حجازي السّقا، ط١، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٦٥- معالم أصول الدّين، محمد بن عمر بن الحسن الرّازي، تحقيق: طه عبد الرَّؤوف سعد، د.ط، دار الكتاب العربي – لبنان، د.ت.

٦٦- المعجم الوسيط، مجمع اللُّغَة العربيّة بالقاهرة، د.ط، دار الدّعوة – القاهرة، د.ت.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٦٧- معجم مقاييس اللُّغة، أحمد بن فارس بن زكريا بن فارس، تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل - بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٨- مفاتيح الغيب المعروف بـ(التّفسير الكبير)، محمد بن عمر بن الحسين الرّازي، ط١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٩- مفهوم الأُلُوهيّة وعلاقته بالولاية في الفكر الإسلامي، أشرف حافظ، دار كنوز المعرفة العلميّة للنَّشر والتّوزيع، ٢٠٠٨م.

٧٠- المِلَل والنِّحَل، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشَّهْرَستاني تحقيق: محمد سيد كيلاني، د. ط، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤هـ.

٧١- المنتخب من مسند عَبْد بن حُمَيْد، عبدُ بن حُمَيْد بن نصر، تحقيق: صبحي البدري السّامرائي ومحمود محمد خليل الصّعيدي، ط١، مكتبة السُّنّة - القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٧٢- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرّحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٧٣- منهاج السُّنّة النّبويّة في نقض كلام الشّيعة القدريّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن تيميّة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، د.م، مؤسّسة قرطبة، ١٤٠٦هـ.

٧٤- منهج الشّيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولّي، ط١، دار ماجد عسيري - جدة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

٧٥- المواقف، عبد الرّحمن بن أحمد بن عبد الغفّار الإيجي، تحقيق: عبد الرّحمن عميرة، ط١، دار الجيل - بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٧٦- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد التّهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النّص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م.

٧٧- نهاية الإقدام في علم الكلام، محمد بن عبد الكريم الشَّهْرَستاني، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٤٢٥هـ.

٧٨- النُّور السّافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، تحقيق: أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، ط١، دار صادر - بيروت، ٢٠٠١م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٥)، العدد (٢)، ص ص٥٩٩ -٦٣٣(صفر ١٤٤٣هـ / أكتوبر ٢٠٢١م)

٧٩- الهداية الى بلوغ النِّهاية، أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: مجموعة رسائل جامعيّة بكلِّيّة الدّراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشّارقة، بإشراف أ.د: الشّاهد البوشيخي، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.